

## فواصل القرآن عند الضراء

أ. أحمد الشايب عرياي

الملخص :

لم يكن الضراء نحويًا فحسب ، إنما كان من الذين اشتغلوا بعلوم القرآن ، وعلى وجه الخصوص ما يعرف بالفاصلة القرآنية والتي تعني نهايات الآيات ، كان الضراء أول من أطلق مصطلح الفاصلة ، ولقد حاول أن يوجد علاقةً بينها وبين جوانب النحو والصوت والدلالة ، فضلًا عن كون الفاصلة صورة من صور الإعجاز في القرآن .

### The summary

" Al-farra" was not a grammarian only , but he was studying the holly Koran , specially the phenomene called " Al – faceala" . " he was the first one has used this word ( al-faceala) which means the end of the verset in Koran . Al-farra has tried to have a relation between Al-faceala and the other side of language , as the grammar ,sound , and semantic . Finally , Al- faceala , was an importan kind of " Al-iidjaz" in Koran .

### تمهيد

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي ما فتئت ظواهره المختلفة محل دراسة وبحث على مدار التاريخ ، من هذه الظواهر : ظاهرة الفاصلة  
فما الفاصلة ؟ وما علاقة النحاة بها ؟ ولماذا الضراء بالذات ؟  
اختلف العلماء – قدماء ومحدثون - في تعريف الفاصلة القرآنية :  
فمن القدماء : أبو بكر الباقلاني<sup>(1)</sup> الذي يراها حروفًا متشاكلتة في المقاطع يقع بها إفعال المعاني<sup>(2)</sup> ، ومنهم أبو عمرو الداني<sup>(3)</sup> الذي يحدد الفاصلة بأنها كلمة آخر الجملة<sup>(4)</sup> ، غير أن الزركشي<sup>(5)</sup> يعدها آخر كلمة في الآية .  
أما المحدثون فمن أشهرهم : محمد الحسناوي الذي يعرفها بقوله " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر ، والتفصيل : توافق أواخر الآي في حروف الروي ، أو في الوزن ، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس ."<sup>(6)</sup>  
وإذا شئنا أن نخرج بتعريف للفاصلة يجمع شتات ماسبق ، فإنه يمكن القول بأن :  
" الفاصلة هي نهاية الآية التي تؤثر على المضمون بدلالاتها وعلى الإيقاع بمقاطعها ، فيتم بها المعنى وتستريح لها النفس "  
هذا هو التعريف العام للفاصلة ، أما تحديدها بشكل دقيق فأمر صعب ، واختلاف العلماء في تعريفها يدل على ذلك .<sup>(7)</sup>

إن الكلام عن الفاصلة والبحث فيها إنما جاء متأخرا ، بمعنى أنه لم يكن متزامنا مع البحث النحوي إلا قليلا ، ولم تقع دراسة الفاصلة ظاهرة متفردة متميزة في القرآن الكريم إلا على يد علماء الدراسات الإعجازية من أمثال الذين سلف ذكرهم . كالباقلائي والزركشي والسيوطي وغيرهم .

وهكذا يكون الضراء متميزا في تناوله المبكر لهذا الموضوع ، إذ اعتنى بالفاصلة عنائية ملفتة للنظر في كتابه "معاني القرآن" وهي العناية التي لم نلمسها عند السابقين للضراء أو المعاصرين له ، فلم يستعمل الخليل ولا سيبويه مصطلح الفاصلة بالمفهوم سالف الذكر ، إذ ألحقها الخليل بعلم العروض<sup>(8)</sup> ، أما سيبويه فأدرجها في باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات<sup>(9)</sup> ، وجاء بأمثلة من القرآن هي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴾ ( الفجر 3 ) و ﴿ مَا كُنَّا نُبْعُ ﴾ ( الكهف 12 ) . ولم يتحدد مفهوم الفواصل القرآنية إلا على يد الضراء .

#### فمن الضراء ؟ وما قصته مع الفاصلة ؟

الضراء هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله النحوي الكوفي ، اختلف منذ نشأته إلى حلقات القراءة والمحدثين والمفسرين كما درس اللغة والنحو على يد أبي جعفر الرؤاسي والكسائي من الكوفة ويونس بن حبيب من البصرة ، كما اتصل بالخليفة العباسي المأمون ، ولقي منه كل عون على التصنيف والتأليف ، من أشهر كتب الضراء : معاني القرآن ، المقصور والممدود ، الأيام والليالي ، المذكر والمؤنث ... توفي سنة 207 هـ

هذا هو الضراء النحوي الكوفي الذي أثارت انتباهه فواصل القرآن ، في الوقت الذي لم يلتفت إليها معاصروه وهذا الذي يبدو غريبا لأول وهلة ، غير أن الغرابة تزول عندما ندرك أن علماء النحو الأول اهتموا هم أيضا بعلوم القرآن وبخاصة ما يتعلق بالقراءات القرآنية واختلافها ، بل إن تأملاتهم في قضايا اللغة والنحو إنما كان منشؤها تأملهم في الأسلوب القرآني ، ولذلك كان القرآن عندهم منطلقا ومثكأ أكثر من أن يكون غاية وهدفا . وإن تصفحنا عاجزا لكتاب الضراء " معاني القرآن " ليجعلنا نلاحظ الآتي :

- الإهتمام بتباين القراءات القرآنية واتخاذ مواقف مختلفة إزاءها تفضيلا وتصويبا وإقرارا وربما تخطئة
  - اعتماد الأسلوب القرآني وسيلة لتأصيل بعض قواعد النحو واللغة
  - الاستعانة بكلام العرب لفهم القرآن
- ونكتفي بالمثل الآتي للتوضيح :

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ ( الجمعة 12 ) ، يقول الضراء : " خفضها الأعمش فقال ( الجمعة ) ، وثقلها عاصم وأهل الحجاز ، وفيها لغة ( جُمَعَت ) ، وهي لغة لبني عقيل ، ولو قرئ بها كان صوابا ، والذين قالوا ( الجمعة ) ذهبوا بها ،

إلى صفة اليوم أنه يوم جُمعة ، كما تقول : رجل ضحكت للذي يكثر الضحك  
(10) .

#### الفراء والفواصل :

يكاد يجمع الدارسون على أن أول من وضع مصطلح " الفاصلة " هو الفراء<sup>(11)</sup> ، فهو يحاول أن يؤصل ما يطرأ على السياق القرآني بسبب الفواصل في أي جانب ، نحويا كان أم صرفيا أم صوتيا .

#### أولا : الجانب النحوي :

كثيرا ما يربط الفراء بين مسائل نحوية معينة وفواصل القرآن ، من ذلك :

1 - تعليقه حذف الفاء من جواب الإستفهام في قوله تعالى ﴿ آتَّخَذْنَا هِزْواً قَال ... ﴾ (البقرة 67 ) ، يقول الفراء :

" ... وهذا في القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك لأنه جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه ، فيقال : ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا وكذا . فكأن جسن السكوت يجوز به طرح الفاء . وأنت تراه في رؤوس الآيات - لأنها فصول - حسنا  
(12) "

ثم يورد أمثلة شبيهة بذلك في القرآن يثبت بها صحة ما يذهب إليه ، نحو قوله سبحانه ﴿ قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ( الشعراء 25،26 )<sup>(13)</sup> وكذلك قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا ... ﴾ ( الذاريات 31، 32 ) .

وهكذا يفهم من كلام الفراء أنه يجوز حذف الفاء إذا وقعت في جواب استفهام انتهت به الآية السابقة ، بحيث لا تحذف إذا أريد بها العطف وهذا شأن العرب في كلامها ، يقول " لا يقولون : قمت فعلت ، ولا قلت قال ، حتى يقولوا : قلت فقال ، وقمت فقام ، لأنها نسق وليست باستفهام يوقف عليه " (14) .

2 - تعليل الرفع في قوله تعالى ﴿ صمُّ بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾ (البقرة 18) ، يقول :

" رفعن وأسماؤهن في أول الكلام منصوبية | يقصد قوله تعالى في الآية السابقة : ﴿ وَتَرْكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ [ لأن الكلام تم ، وانقضت به آية ، ثم استؤنفت ( صمُّ بكم عمي ) في آية أخرى ، فكان أقوى للإستئناف ، ولو تم الكلام ولم تكن آية لجاز الإستئناف ... فأما ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفا فكثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... وذلك الضور العظيم ﴾ ( التوبة 112 ) ثم قال جل وجهه ﴿ الثَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ ( التوبة 113 ) بالرفع في قراءتنا<sup>(15)</sup> .

3 - قد تكون الفواصل سببا في الخروج عن قاعدة نحوية مطردة من ذلك :

- رفع الفعل المضارع بدلا من نصبه بعد "الفاء" في قوله تعالى ﴿ وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ( المرسلات ، 36 ) يقول الضراء : " رويت بالفاء أن يكون نسقا ( أي عطفًا ) على ما قبلها ، واختير ذلك لأن الآيات بالنون ، فلو قيل فيعتذروا لم يوافق الآيات . وقد قال الله جل وعز ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ ( فاطر - 36 ) بالنصب ، وكل صواب .<sup>(16)</sup>

- جواز إضافة المصدر إلى صاحبه ، في مثل قوله تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴾ ( الزلزلة/ 1 ) يقول الضراء : " هذا بمنزلة قوله [تعالى] ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح18)... فأضيف المصدر إلى صاحبه وأنت قائل في الكلام : لأعطينك عطيتك ، وأنت تريد عطية ، ولكن قريبه من الجواز موافقة رؤوس الآيات التي جاءت بعدها<sup>(17)</sup>

- قد تستعمل صيغة ( فاعل ) ويراد بها المفعول كما ورد في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ وهذا موافقة لرؤوس الآيات ، وجريا على لغة من لغات العرب ، يقول الضراء " أهل الحجاز أفعال لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت ، كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب ، وليل نائم ، وعيشة راضية ، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هن معهن " <sup>(18)</sup>

- قد يحذف المفعول به إذا دل على ذلك السياق ، وهذا في مثل قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ، وَمَا قَلَى ﴾ أي ( وما قلاك ) ، حذف المفعول هنا لدلالة الأول عليه في ( ما ودعك ) ، وحذف المفعول الثاني يحقق الإنسجام الصوتي لهذه الآية مع ما قبلها وما بعدها ، يقول الضراء في تفسير قوله سبحانه ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ : " يريد وما قلاك ، فألقت الكاف ، كما تقول : ( قد أعطيتك وأحسنت ) ومعناه : أحسنت إليك ، فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى ، ولأن رؤوس الآيات بالياء ، فاجتمع ذلك فيه . " <sup>(19)</sup>

#### ثانيا : الجانب الصوتي :

ما دامت فواصل القرآن بانسجامها وتناغمها تحقق ذلك الإيقاع الصوتي الجميل في السورة الواحدة ، فلا جرم أن تكون سببا أساسيا في إحداث ظواهر صوتية ربما فيها خروج عن الأصل ، من هذه الظواهر :

1 - حذف الياءات التي في أواخر الكلمات ، نحو قوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ( الشعراء 78 ، 79 ، 80 )

﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمٌ ... فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانٌ ﴾ ( الضجر 16 ، 18 )

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾ ( الكافرون 6 )

ويقرر الضراء أن للعرب أن تحذف الياء مرة وتثبتها أخرى، فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلاً عليها، ومن أتمها فقد أجراها على الأصل، غير أن الحذف يتأكد عندما يكن رؤوس أي في مثل قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دَعَاءَ ﴾ (إبراهيم، 40)

﴿ فستعلمون كيف نذير. ولقد كذب الذين من قبلهم، فكيف كان كبير ﴾ (الملك، 17، 18)

ويضيف الضراء: "وذلك أنهن رؤوس الآيات، لم يكن في الآيات قبلهن ياء ثانية فأجرين على ما قبلهن، إذ كان ذلك من كلام العرب" (20)

2 - قلب الألف ياء في مثل قوله تعالى:

﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ طه 14، وتقرأ ( لذكرا )، يقول الضراء: " فمن قال ( ذكرا ) فجعلها بالألف كان على جهة الذكرى، وإن شئت جعلتها ياء إضافة حوت ألفاً لرؤوس الآيات " (21).

ف ( ذكرى ) - عند الضراء - إما أن تكون من باب ( الذكرى )، أو أنها ( ذكرى ) اشتملت على ياء المتكلم التي هي مضاف إليه، لكنها قلبت ألفاً لرؤوس الآيات، وهذا جائز عند العرب، ثم استشهد بقول الشاعر:

أطوف ما أطوف ثم أوي إلى أما ويرويني النقيع (22)

والشاهد في البيت هو ( أما ) التي هي في الأصل: أمي (23)

3 - تفضيل وجه من وجوه القراءة على آخر لأن الوجه المفضل يحقق الإنسجام الصوتي الذي تحدثه الفواصل، يظهر هذا في قوله تعالى: ﴿ يقولون أأنأ لمرذؤون في الحافرة، إذا كئنا عظاماً نخرة ﴾

( النازعات 11 )، اختلف القراء في الكلمة الأخيرة، هل هي نخرة أم ناخرة.

قرأ بالأولى ( نخرة ) الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة، وقرأ بالثانية ( ناخرة ) آخرون من كبار القراء كأبي عمرو بن العلاء وابن عباس وحمزة والكسائي (24)، وممن اختار القراءة الثانية الضراء والطبري وآخرون.

يقول الطبري: "...وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا ( نخرة ) بغير ألف بمعنى ( بالية )، غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إلي بذلك أن تلحق ( ناخرة ) بها ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلي حذف الألف منها" (25).

أما الضراء فيقول: "... و ( ناخرة ) أجود الوجهين في القراءة، لأن الآيات بالألف. ألا ترى أن ( ناخرة ) مع ( الحافرة ) و ( الساهرة ) أشبه بمجيء التنزيل. " (26)

#### ثانياً: الجانب الدلالي

يظهر أول الأمر أن أثر الفواصل في النص القرآني إنما ينحصر في الجانب الإيقاعي بحيث يحدث تنالي الفواصل المتشاكلت نغماً صوتياً جميلاً يضي على النص

الكريم مهابةً وجمالاً في الوقت نفسه ، لكن شأن الفواصل يتجاوز الإيقاع إلى الدلالات ، وهذا الذي انتبه إليه الضراء عندما أشار إلى أن بعض الآيات تحمل معنيين : معنى ظاهري غير مقصود ، وإنما تضمنته الآية بسبب الفواصل ، ومعنى خفي هو المقصود ودليله في ذلك آيتان هما :

الآية الأولى : قوله سبحانه ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الرحمن 40)

بشر الله سبحانه في الآية عباده الصالحين بجننتين ، غير أن الضراء يقول بأنهما جنة واحدة وإنما جيء بالمثني بدل المفرد مراعاة لفواصل السورة ، وهذا - في رأيه - ليس غريباً عن لغة العرب ، فقد يؤتى بالمثني في الكلام ويراد به المفرد ، واستدل على ذلك بشاهدين من كلام العرب ، يقول الضراء :

" أنشدني بعضهم<sup>(27)</sup> :

وَمَهْمَيْنِ قَذْفَيْنِ مَرَّتَيْنِ قَطَعْتُهُ بِالْأَمْرِ لَا بِالسَّمْتَيْنِ

يريد : مهمماً وسمتاً واحداً ، وأنشدني آخر<sup>(28)</sup> :

يسعى بكيداء ولهذمين قد جعل الأروطة جننتين

وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام<sup>(29)</sup> .

بهذين الشاهدين إذا استدل الضراء على جواز إرادة المفرد بذكر المثني ، فالشعر - كما قال - في كلام العرب يحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سواه . غير أن ما ذهب إليه الضراء في تفسير الآية الكريمة قد أثار ردوداً متباينة من قبل الدارسين ، ونستطيع أن نصنف هذه المواقف إلى أربع فئات :

- فئة اكتفت برواية مقولته الضراء دون تعليق ، وعلى هذا سار أغلب المفسرين

- بعضهم نقل المقولته ثم عبّر عن عدم تبنيه لها ، لكن بشكل عابر ، أعني جلال الدين السيوطي عندما تعرض لشرح قوله تعالى : ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف 31) ، يقول : " قال الفارسي : (أي من إحدى القريتين) ، وليس منه ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ، وأن المعنى جنة واحدة خلافاً للضراء"<sup>(30)</sup> .

- بعضهم حاول أن يلتمس العذر للضراء في شرحه الآية على الوجه المذكور ، يقول الزركشي : " وكان الملجئ للضراء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات 40 ، 41) وعكس ذلك إما جاء في قوله سبحانه أ : ﴿فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه 117) "

أراد الزركشي أن يقول إن دليل الضراء هو الآية الأولى التي تعد بجنة واحدة كل من خاف مقام ربه ، وعليه فإنه إذا أمكن إيراد التثنية مع قصد

الإفراد فإنّ العكس جائز ، بمعنى أنه يمكن إيراد الأفراد مع قصد التثنية  
 ،وهذا ما تضمنته الآية الثانية حيث ورد ( تشقى ) بدلا من ( تشقيا ) .  
 أما من لم يستخ مقولته الضراء أصلا وشن عليه بسببها هجوما عنيفا فهو ابن  
 قتيبة<sup>(31)</sup> الذي يقول راداً على الضراء : " ... وهذا من أعجب ما حمل عليه  
 كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على الله -  
 جل ثناؤه - الزيادة والنقصان لرأس الآية " <sup>(32)</sup>  
 بل ذهب به التهكم حتى قال : " لو أن قاتلاً قال في خزنة النار إنهم  
 عشرون وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هذا إلا كقول  
 الضراء !! " <sup>(33)</sup>

ثم يوضح ابن قتيبة وجهة نظره في المسألة بقوله : " ..إنما يجوز في رؤوس  
 الآي أن يزيد هاء السكت كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ ( القارعة  
 10 ) وألفاً كقوله سبحانه : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ( الأحزاب 10 ) ، لا  
 يزيل معنى عن جهته ولا يزيد ولا ينقص ، فأما أن يكون الله عز وجل وعد  
 جنتين فيجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي ، فمعاذ الله !  
 الآية الثانية : في السياق نفسه وهو تأثير الفواصل في معنى الآية ، وذلك في قوله  
 سبحانه :

﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ ( الشمس 12 ) ، يذهب الضراء في تفسير الآية إلى أنه من  
 الممكن أن يقال ( أشقيها ) بدلا من ( أشقاها ) لأنهما رجلان ، والعرب إذا أضافت  
 أفعل ( إلى أسماء جعلوها مضرّة ولو كان المتحدث عنه مثنى أو جمعا ، فيقولون :  
 هذان أفضل الناس ، من ذلك قول الشاعر وهو يلوم ابنتين له :  
 يا أخبث الناس كل الناس قد علموا لو تستطيعان كئنا مثل معضاد  
 (34)

هذا أمر ما أورده الضراء بخصوص هذه الآية في كتابه " معاني القرآن " ، غير أنه لم  
 يذكر فيما إذا كانت الفاصلة هي السبب في استعمال ( أشقاها ) بدلا من ( أشقيها )  
 أمر لا . <sup>(35)</sup>

غير أن السيوطي يفصح عن ذلك في تعليقه على الآية المذكورة بقوله :  
 " ... قال الضراء : إنهما رجلان ( قدار ) وآخر معه ، ولم يقل أشقيها للفاصلة " <sup>(36)</sup>  
 والآن لنا أن نتساءل : إلى أي مدى كان الضراء مصيبا في ما ذهب إليه ؟  
 لا بد من الإشارة إلى أمرين :  
 أولهما : أن علاقة الفواصل بمعنى الآية لا ينحصر في المثالين المذكورين أو في ما  
 يشبههما ، لكن لما كان الموضوع متعلقا بالضراء دون غيره فإنه اكتفي بما ذكر .

ثانيهما : أن فهم الضراء للآية الخامسة و الأربعين من سورة الرحمن بأن الله سبحانه  
وعد عباده الصالحين جنة واحدة وليس جنتين كما ورد في الآية ، هذا الفهم فيه  
نظر ، وذلك للأسباب الآتية :

1 - لو كانت الجنتان جنة واحدة ، ما كان يستعمل معهما ضمير المثنى عند  
الحديث عنهما في الآيات التالية ، كما هو واضح في قوله تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْئَانٍ .  
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا  
مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رُؤُوسَانِ . ﴾ ( الرحمن الآيات 47 ... 51 ثم يتكرر الحديث عن  
الجنتين مرة لأخرى في الآية الثالثة والخمسين ، يقول تعالى :  
﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ وَجِنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾

2 - اعتمد الضراء في تأويله للآية المذكورة على أنه يمكن أن تكون هناك زيادة  
أو نقصان في كلام العرب وخصوصا في الشعر وجاء بالشاهدين ، لكن إذا كان  
ذلك جائز في الشعر فهل يصدق ذلك على القرآن ؟ وما كان القرآن كالشعر ، ولن  
يكون . قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾  
( يس 68 ) .

هذا بخصوص الآية الأولى أما الآية الثانية وهي الآية الثانية عشرة من سورة الشمس  
، فقد ذكر الضراء بشأنها أن القرآن قال ( أشقاها ) ولم يقل ( أشقيها ) ، فهما في  
الحقيقة رجلان : قدار وآخر معه .

لكن السؤال الذي نطرحه ههنا : هل هما رجلان حقا كما ذهب الضراء ؟  
جاء في تفسير ابن كثير :

" ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر  
ثمود وهو الذي قال الله ﴿ فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ ( القمر 29 ) " (37).

وبهذا المعنى قال أغلب المفسرين ، يقول الألوسي في تفسيره :

" ( أشقاها ) أي أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو من تصدى معه لعقرها من  
الأشقياء اثنان على ما قال الضراء أو أكثر . " (38)

وهكذا يظهر أن مذهب الضراء في تفسير الآيتين فيه من الشطط ما لا يخفى فحق  
لابن قتيبة أن يثور عليه ثورته التي لمساتها من أجل أن يدافع عن القرآن ولغة القرآن .

#### الخاتمة

الفاصلة في القرآن ظاهرة متميزة ، كان الضراء من الأوائل الذين تفتنوا إليها ، إن  
لم يكن أولهم على الإطلاق ، على اختلاف بين الدارسين ، بحيث كان في ذلك  
أسبق من المشتغلين بعلوم القرآن .

التفتت الضراء إلى الفاصلة في كتابه " معاني القرآن " ، جعله بذلك يخدم القرآن  
والعربية معاً من خلال :

- منح الفاصلة القرآنية قيمة نحوية وصوتية ودلالية
- استلهم كلام العرب في استنباط قواعد النحو والصرف كانت الفاصلة هي السبب في إبداعها .
- الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني

### الهوامش

- 1 - الباقلائي هو محمد بن الطيب ( 338 - 403هـ ) قاضٍ من كبار علماء الكلام ، ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس ، ط1 بيروت ، ج4 ، ص269
- 2- الباقلائي ، إعجاز القرآن ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعرف ، مصر ، 1971 ، ط3 ، ص 57 ، 58
- 3- هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني القرطبي ( 371 - 444 هـ ) الحافظ المقرئ ، أحد الأئمة في علم القرآن ، روايته وتفسيره . ينظر: عبد الحي العكبري ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ( د.ت ) ، ج2 ، ص 272
- 4- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، ج1 ، ص 53
- 5- هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ( 745 - 794 ) عالم بفقهاء الشافعية والأصول . ينظر: المصدر نفسه ، مقدمة التحقيق ، ص5 .
- 6- محمد الحسنوي ، الفاصلة في القرآن ، دار الأصيل ، حلب ، سوريا ( د.ت ) ص 26
- 7- أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 1992 ، ص 351
- 8- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ، تحقيق الأستاذين: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، مادة ( فصل ) ج7 ، ص 126 ، 127 .
- 9- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج1 ، ص 54
- 10- أبو زكريا الضراء ، معاني القرآن ، تحقيق: محمد علي النجار ويوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، ( د.ت ) ج3 ، ص 156
- 11- أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الضراء ومذهبه في النحو واللغة ، القاهرة ، 1964 ، ص 302 - محمد الحسنوي ، الفاصلة في القرآن ، ص 37
- 12- الضراء ، معاني القرآن ، ج1 ص 44
- 13- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 45
- 14- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 46
- 15- نفسه ، ج1 ص 16

- 16 - نفسه ، ج 3 ، ص 226
- 17 - نفسه ، ج 3 ، ص 283
- 18 - نفسه ، ج 3 ، ص 255
- 19 - نفسه ، ج 3 ، ص 275
- 20 - نفسه ، ج 1 ص 201
- 21 - نفسه ، ج 2 ص 176
- 22 - البيت لم يُنسب لشاعر معين ، غير أن ابن منظور أوردته بروايتها فيها ( يكتفيني ) بدلا من ( يرويني ) النقيع : الخالص من اللبن يبرد ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1990 ، مادة : نقع ، ج 8 ، ص 359
- 23 - الفراء ، معاني القرآن ، ج 2 ، ص 176
- 24 - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ط 2 ، 1372 هـ ، ج 19 ، ص 173 ، 197
- 25 - الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، 1405 ، ج 30 ، ص 35
- 26 - الفراء ، معاني القرآن ، ج 3 ، ص 231
- 27 - ينسب البيت لخطام المجاشعي  
المهمّة : الضلالة . القذف : البعيد من الأرض . المرّت : الأرض لا كالأبها ولا ماء ، جمع أمرات . والتثنية في البيت كله غير مقصودة ، إنما المقصود هو الأفراد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 2 ص 89
- 28 - الشاعر غير معروف  
الكيداء : القوس . اللهزم : السهم . الأراطاة : نوع من الشجر .
- 29 - الفراء ، معاني القرآن ، ج 3 ، ص 118
- 30 - جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ط 1 ، 1967 ، ج 2 ، ص 105 .
- 31 - هو أبو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بان قتيبة ( 213 - 276 هـ ) من أئمة الأدب في عصره ، كثير التصانيف . ينظر : ابن خالكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، ط 1 ( د.ت ) ج 3 ، ص 42
- 32 - ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، 1978 ، ص 440
- 33 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 65
- 34 - المعضاد : السيف الممتن
- 35 - الفراء ، معاني القرآن ، ج 3 ، ص 268
- 36 - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 65

- 37- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت 1401 هـ ج4، ص 518
- 38- الألويسي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد الجنيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1404 هـ، ج30، ص145